وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

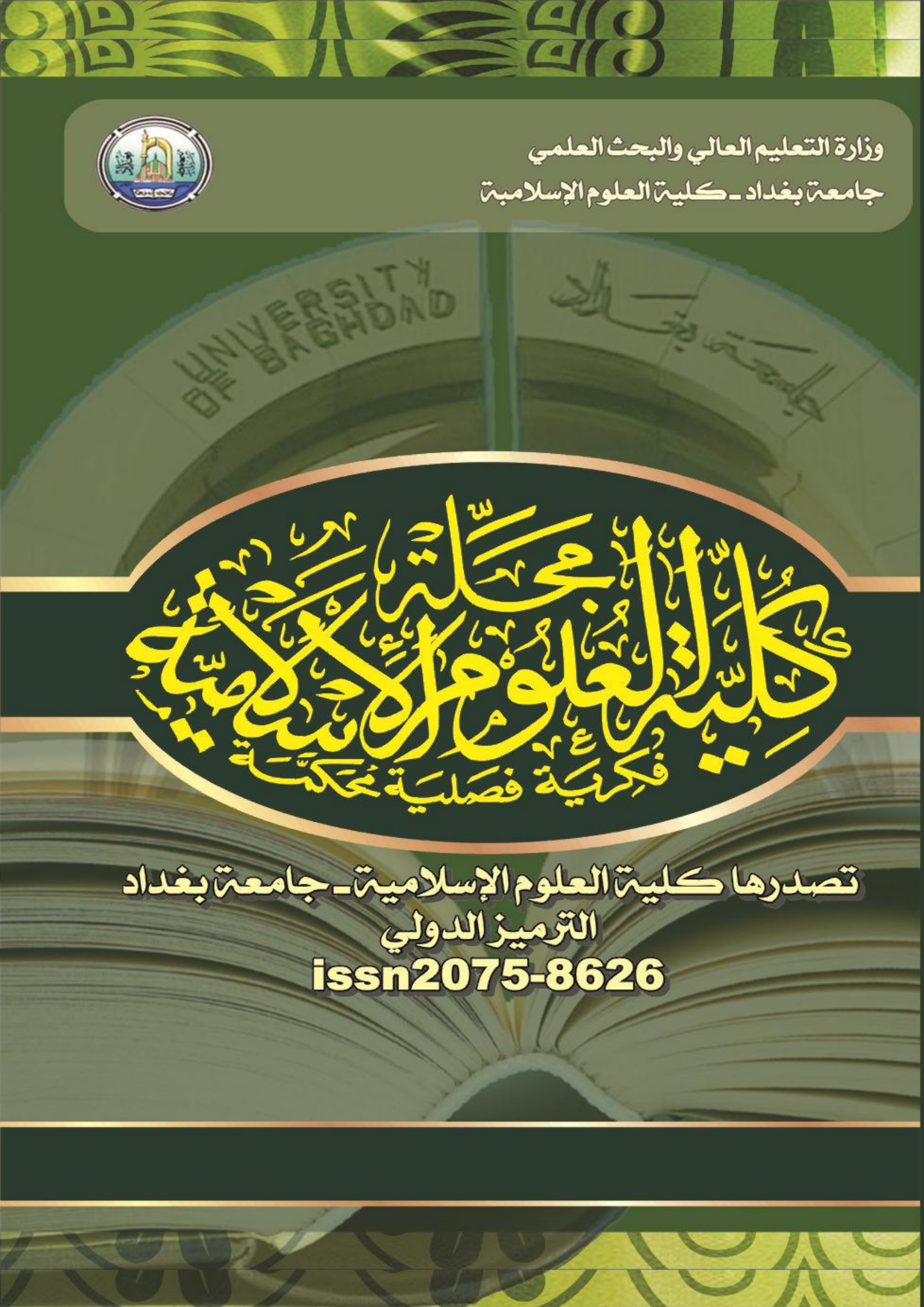

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية فصلية محكمة

تصدرها كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد
الترميز الدولي
issn2075-8626

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد ـ كلية العلوم الإسلامية

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية ـ فصلية ـ محكمة

تصدرها
كلية العلوم الإسلامية
جامعة بغداد

العدد (٣٢)
١٤٣٣هـ ـ ٣٠ كانون الاول ٢٠١٢م

الترميز الدولي : ISSN 2057-8626

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦م

قائمة المحتويات العدد ٣٢

الاحاديث التي استشهد بها الامام المزي	أ.م.د عبد الله كريم الناصري	٨
الروايات البصريات في كتب السنة دراسة تحليلة	د. شهد كريم فليح القيسي	١٢٥
لمحات من الحنق والطيش في الشعر الجاهلي	د.مظفر هاشم	١٨٩
التفسير بالراي عند المدرسة العقلانية دراسة صفية	د. عرفان رشيد شريف	٢٢٤
اهمية المنطق في دراسة العلوم الاسلامية	أ.م.د. رعد شمس الدين	٢٦٤
تسلية القران المبين للنبي (ص) خاتم المرسلين	م.حميد شاهر فرحان	٣١٢
الاختلاط ضوابطه وفوائده	أ.م.د احمد ختال	٣٤٠
دراسة في احاديث الصلاة دبر الدعاء	د.احمد نوري حسين	٣٦٥

تسلية القرآن المبين
للنبي صلى اللّه عليه وسلم خاتم المرسلين

الباحث

م. حميد شاهر فرحان

الملخص

إن الابتلاء سنة باقية وليست حادثة ماضية، وأشد الناس بلاءً هم الانبياء- عليهم الصلاة والسلام-، وأشدهم هو إمام الانبياء محمد – صلى الله عليه وسلم- لما يتعرضون له من أقوامهم من الاذى؛ بسبب دعوتهم إلى دين يخالف دين الآباء والأجداد، دين الجور والظلم، والشرك والكفر، ولذا كان للقرآن مواقف تجاه تسلية أهل البلاء عموماً وحبيبنا – صلى الله عليه وسلم- خصوصاً، جاء هذا البحث حول تسلية القرآن للنبي – صلى الله عليه وسلم –، ومواطن التسلية كثيرة منها ذكر قصص الأقوام مع أنبيائهم وما آل إليه أمرهم من الخزي في الدنيا والآخرة، وإظهار انبيائهم عليهم، ومنها تسليته بذكر البلاء الذي نزل بالأنبياء من إخوانه، فقد نزل بهم من البلاء في النفس والمال والولد الشيء الكثير، فصبروا لما أصابهم في سبيل الله، فكان ذلك من ابرز واهم عوامل التسلية له -عليه الصلاة والسلام- ، وكذا تسليته بالصبر لعظم ثواب الصابرين، وعدم الحزن لأنه عما قريب سيزول، والعقبة للمتقين، والحمد لله رب العالمين.

خلاصة البحث

إن الابتلاء سنة باقية وليست حادثة ماضية، وأشد الناس بلاءً هم الانبياء– عليهم الصلاة والسلام–، وأشدهم هو إمام الانبياء محمد – صلى الله عليه وسلم– لما يتعرضون له من أقوامهم من الاذى؛ بسبب دعوتهم إلى دين يخالف دين الآباء والأجداد، دين الجور والظلم، والشرك والكفر، ولذا كان للقرآن مواقف تجاه تسلية أهل البلاء عموماً وحبيبنا – صلى الله عليه وسلم– خصوصاً، جاء هذا البحث حول تسلية القرآن للنبي – صلى الله عليه وسلم –، ومواطن التسلية كثيرة منها ذكر قصص الأقوام مع أنبيائهم وما آل إليه أمرهم من الخزي في الدنيا والآخرة، وإظهار انبيائهم عليهم، ومنها تسليته بذكر البلاء الذي نزل بالأنبياء من إخوانه، فقد نزل بهم من البلاء في النفس والمال والولد الشيء الكثير، فصبروا لما أصابهم في سبيل الله، فكان ذلك من ابرز واهم عوامل التسلية له –عليه الصلاة والسلام– ، وكذا تسليته بالصبر لعظم ثواب الصابرين، وعدم الحزن لأنه عما قريب سيزول، والعقبة للمتقين، والحمد لله رب العالمين.

Abstract

Ibtilaa (examination, torture) is a remaining method and not an excluded event. Most tortured people are prophets, blessed and most tortured of them is Mohammed- Peace be upon him- the leader of prophets for what he suffered from his people because his religion which differ their fathers and grandfathers religion, religion of transgression and oppression. So, Quran stands for

condolences the suffered people generally and our prophet Mohammed (Peace be upon him). This research, specially directed toward condense from Quran to the prophet Mohammed (Peace be upon him). The phrases of condolences a lot ones of it remembrance stories of their people to their prophets and the resulting procedure of shame in life and thereafter and also resulting story of their prophet one of it condolences to the prophets to indicate torture that touched prophets from their communities. The touched suffering in self, wealth and offspring a lot of suffering and they are more patient in the way Allah almighty. And this was more or the most condolences to the prophet Mohammed (Peace be upon him) and also condole him is patience for what goodness to the patients people and not to get sorrow for their, recently it will disappear, and the best result to the believers and thanks to Allah.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل التسلية سبباً لتخفيف الأحزان، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للإنس والجانّ، وعلى آله وأصحابه أهل التقوى والإحسان، وبعد:

فأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في هذه الحياة، ووضعه في مواقف الاختبار فأنعم عليه طالباً منه الحمد على نعمه والشكر له، ويبتليه طالباً منه الصبر على ما أصابه، في الحالتين؛ حالتي الشكر والصبر له فضل كبير وأجر عظيم. ولما كانت التسلية من الأمور التي تهوّن الابتلاءات فرغبنا أن نخوض في آيات التسلية مقتصرين في ذلك على الآيات التي تسلي الرسول محمد ﷺ لأن الأنبياء هم أشد الناس بلاءً، وأشدهم بلاءً هو رسول الله ﷺ .

سبب اختيار الموضوع: إن الله تعالى أمرنا باتباع كتابه في توجيهاته وتعليماته، وكذا الاقتداء بالنبي ﷺ في أخلاقه وأفعاله، وبناءً على هذا أردنا أن نقف على منهج القرآن في تسلية النبي ﷺ في أحزانه، وكيفية تلقي النبي ﷺ لهذه الابتلاءات والتعامل معها.

أهمية الموضوع: إن المبتلى يحتاج إلى أن نواسيه ونآزره ونشد من عضده، حتى يخف عليه ألم الابتلاء، ولهذا ليس هناك أعلم من الله تعالى المقدر للابتلاءات بأسباب تخفيفها، فلابد من الوقوف عليها والتأسي بها؛ لأن

تعليمات القرآن باقية إلى يوم القيامة.

المنهج المتبع:

١. جمع الآيات التي جاءت لتسلية النبي ﷺ وعزوها الى السورة ورقم الآية.

٢. الرجوع الى أقوال المفسرين القدامة والمحدثين في استخراج معاني تلك الآيات.

٣. ترجمنا للعلماء غير المشهورين وغير المعاصرين.

٤. الرجوع الى معاجم اللغة في بيان التعريفات اللغوية.

٥. تخريج الأحاديث والآثار من مراجعها الاصلية مع الحكم عليها إذا كانت في غير الصحيحين، وكتفينا بذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث.

٦. جعلت التعريف ببطاقة الكتاب في ثبت المصادر والمراجع لعدم إثقال الهوامش.

وكانت طبيعة هذا البحث أن يقسم بعد هذه المقدمة على مبحثين على النحو الآتي:-

مقدمة: وفيها سبب اختيار الموضوع، وأهميته، وخطة البحث.

والتمهيد: وفيه التعريف بالتسلية، والألفاظ ذوات الصلة وهي.

١ـ المؤاساة والمواساة.

٢ـ التعزية.

٣ـ التصبير.

أما المبحث الأول : التسلية بذكر أخبار السابقين ، وفيه مطلبان.

المطلب الأول : ذكر إعراض الأقوام عن دعوة الرسل.

والمطلب الثاني : ذكر قصص الابتلاء والامتحان.

أولاً: التسلية بقصة موسى مع فرعون .

ثانياً: التسلية بقصة موسى مع بني إسرائيل.

ثالثاً: التسلية بقصة يوسف –عليه السلام–

رابعاً: التسلية بقصة أصحاب الفيل.

خامساً: التسلية بقصة أصحاب الأخدود .

وأما المبحث الثاني : وسائل القرآن في التسلية، وفيه مطلبان.

المطلب الأول : التسلية بالصبر.

والمطلب الثاني: التسلية بعدم الحزن.

ثم الخاتمة.

التمهيد :

التعريف بالتسلية، والألفاظ ذوات الصلة.

التسلية: مشتقة من مادة سَلو، يقال: سلا عنه، إذا نسيه، وطابت نفسه بعد فراقه، ولا أسلى أي: لا أنسى، وسلاني عنه إذا فارقته ما كان به من هم، وتسلَّى عنه الهم وغيره اذا انكشف والسَّلوَّ: طيب نفس الإلف عن إلفه[1].

وعرفها صاحب خزانة الأدب بأنها: إذهاب الهم ونحوه بالسلو[2].

الألفاظ ذوات الصلة.

في اللغة ألفاظ تقارب التسلية في المعنى منها:

١ـ المؤاساة والمواساة.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة(سَلْوَى) ٣/٩١ ، ولسان العرب، مادة (سلا) ١٤/٣٩٤، والمصباح المنير، مادة (سلو) ص٢٨٧ .

(٢) خزانة الأدب ٦/١٢٨.

المؤاساة من مادة أسو، والهمزة والسين والواو أصل واحد يدل على المداواة والإصلاح يقال: أسوت الجرح أسواً ، وأساً إذا داويته؛ ولذا سمي الطبيب الآسي، وأسّيت المصاب إذا عزّيته، أي قلت له: ليكن لك بفلان أسوة فقد أصيب بمثل ما أُصبت به فرضي وسلَّم.

وأما المواساة فهي من الفعل آسى: فيقال: آسى مواساة أي: عَزَّى وسلَّى[1].

٢ـ التعزية:

وهي في اللغة: من عَزيَ يَعْزى من باب ((تَعبَ)) أي: صبر على ما نابه فهو عزٍ، ويقال: تعزّى أي تصبّر تصبراً[2].

وقال ابن فارس[3]– رحمه الله– في معجمه:" معنى التعزي هو أن يَتَأَسَّى بغيره فيقول: حالي مثل حال فلان؛ ولذلك قيل: تَأَسَّى، أي جعل أمره أسوة أمر غيره"[4].

وفي الاصطلاح: الأمر بالصبر والحمل عليه بوعد الأجر والتحذير من الوزر والجزع ، والدعاء بالمغفرة للميت وللمصاب بجبر المصيبة[5].

---

(1) معجم مقاييس اللغة، مادة (أسو) ص٧٨، والمعجم الوسيط، مادة (أسا) ١٨/١.

(2) لسان العرب، مادة (عزا) ٥٢/١٥.

(٣) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين من أئمة اللغة والأدب. (ت: ٣٩٥هـ). الأعلام للزركلي: ١/ ١٩٣.

(4) معجم مقاييس اللغة: مادة (غزوى) ٣١٠/٤.

(5) أسنى المطالب: ١ / ٣٣٤، ومغني المحتاج: ١ / ٣٥٥، وحاشية الدسوقي: ١ / ٤١٩، وحاشية ابن عابدين: ١ / ٦٠٣..

٣ـ التصبير:

من الفعل (صبّره) – بالتثقيل – يقال:(صبّره) إذا دعاه إلى الصبر، وحببه إليه. وقيل:(صبرّته) أي: حملته على الصبر بوعد الأجر، وتصبّر: حمل نفسه على الصبر وتكلفه[1].

والمتأمل فيما أورد من الألفاظ السابقة يلحظ الصلة والتقارب بينها وبين التسلية من جهة المعنى. فإن حقيقة التسلية المواساة أو المؤاساة والتعزية والتصبير إذ المسلِّي يؤاسي المسلَّى ويواسيه ويعزيه ويصبره . وإن كانت التسلية أعم من تلك الألفاظ .

فالتعزية مثلاً تستعمل في الغالب عند مصيبة الموت خاصة وهذا ما نصت عليه كثير من المؤلفات إذ يوردون لفظة التعزية في كتاب الجنائز وربما توسع قلة منهم فاستعمالهما لمصائب أخرى كفقد المال .

أما التسلية والمواساة فلفظان يستعملان عند سائر الشدائد والمصائب مثل المرض والفقر والعاهة والجدب ونحو ذلك كما يستخدمان عند مصيبة الموت.

---

(١) معجم مقاييس اللغة: مادة (صَبَر) ٣/ ٣٢٩، والمصباح المنير: مادة (ص ب ر) ص٣٣١ ، والمعجم الوسيط: مادة (صبر) ١/ ٥٠٥.

المبحث الاول:

التسلية بذكر أخبار السابقين

المطلب الأول: ذكر إعراض الأقوام عن دعوة الرسل.

إن سائر الأنبياء والرسل مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته تعالى ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين أمرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم، وليكون في محنهم تسلية لأممهم، ووفور أجورهم عند ربهم تماماً.

وقد كان النبي ﷺ بمقتضى طبيعته البشرية، وغيرته على دين الله تعالى يحزن لإعراض المعرضين عن الحق الذي جاء به . فإذا علم أن الذي جرى عليه قد جرى على إخوانه من الأنبياء السابقين ربما يكون ذلك عوناً له في الصبر وتخفيف الهم عنه ﷺ.

وقد وردت كثير من الآيات القرآنية غرضها تسلية النبي ﷺ بالأنبياء والرسل السابقين وبيان ما تعرضوا له من أقوامهم، ومنها على سبيل الذكر لا الحصر.

أولاً: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾[1].

([1]) سورة يونس آية: ٣٩.

قال ابن عاشور[1] في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ ،" هذه الآية تسلية النبي ﷺ فيما لقيه من قومه مثل ما لقيه الرسل السابقون من أقوامهم وكذلك فرع على جملة تشبيه خطاب النبي ﷺ بقوله: ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: عاقبة الأمم التي ظلمت بتكذيب الرسل كما كذب هؤلاء"[2].

ومع هذا كله كان النبي ﷺ حريصاً أشد الحرص على هداية قومه حتى قال الله تعالى فيه : ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾[3] ، يقول الحافظ ابن كثير[4] – رحمه الله– " وهذه تسلية من الله لرسوله، – صلوات الله وسلامه عليه –، في عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفار، كَمَا قَالَ

---

(١) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، أديب خطيب، مشارك في علوم الدين، من طلائع النهضة الحديثة النابهين، في تونس. مولده ووفاته بها (ت: ١٣٩٣هـ). الأعلام للزركلي: ٦/ ٣٢٥.

(٢) التحرير والتنوير : ١٧٢/١١.

(٣) الشعراء: ٣.

(٤) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق. (ت: ٧٧٤هـ). الأعلام للزركلي: ١/ ٣٢٠.

تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[1] ، وَقَالَ: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ ﴾[2]"[3].

ثانياً: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[4]، **قال الشنقيطي**[5]: "في هذه الآية الكريمة تسلية للنبي ﷺ وتعزية له، بأن إخوانه من الرسل الكرام – صلوات الله وسلامه عليهم – استهزأ بهم الكفار، كما استهزؤوا به ﷺ يعني: فاصبر كما صبروا، ولك العاقبة الحميدة، والنصر النهائي كما كان لهم. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من ذلك جاء موضحاً في مواضع من كتاب الله.

وقوله في هذه الآية الكريمة: فحاق بالذين سخروا منهم أي: أحاط بهم العذاب الذي كانوا يكذبون به في الدنيا ويستهزئون به"[6].

---

(1) فاطر: ٨.

(2) الكهف: ٦.

(3) تفسير ابن كثير: ١٣٥/٦.

(4) الأنبياء :٤١ .

(٥) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا) . ولد وتعلم بها. وحج (١٣٦٧) واستقر مدرسا في المدينة المنورة ثم الرياض، (ت: ١٣٩٣هـ). الأعلام للزركلي: ٦/ ٤٥.

(6) أضواء البيان: ١٥٢/٤-١٥٣، و ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٩٠/١١.

ثالثاً: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ ﴾[1].

قال بعض أهل التفسير: هذه تسلية له ﷺ بعظم البلية والوعد ﷺ والوعيد لأعدائه والمعنى: وإن استمروا على أن يكذبوك فيما بلغت إليهم من الحق المبين فتأسَ بأولئك الرسل في الصبر فقد كذبهم قومهم فصبروا على تكذيبهم فلا تحزن ولا تبتئس فإن أخوانك من الأنبياء الذين سبقوك قد كذبهم أقوامهم فأنت لست بدعاً في ذلك[2].

رابعاً: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴾[3].

قال الإمامان القرطبي[4]، والشنقيطي: في هذه الآيات الكريمة تسلية للنبي ﷺ بأن الذي عامله به قومه من التكذيب عومل به غيره من الرسل الكرام وذلك يسليه ﷺ ويخفف عليه[5].

---

(1) فاطر:٤.

(2) ينظر الوسيط لسيد طنطاوي: ١١/ ٣٢٣ ، وتفسير القران للعثيمين: ١/٤٤.

(3) الحج الآية: ٤٤.

(٤) القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح الأنصاري المالكي القرطبي. إمام مفسر متفنن متبحر في العلم ، (ت:٦٧١هـ) . ينظر طبقات المفسرين للداودي: ص٣٤٨ ، وطبقات المفسرين للسيوطي: ص ٧٩ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:١٢/٧٣، وأضواء البيان: ٥/٢٦٦.

خامساً: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1].

قال ابن كثير وغيره من المفسرين: هذه تسلية للنبي ﷺ وتعزية له فيمن كذبه من قومه وأمر له بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ووعد له بالنصر كما نصروا بالظفر حتى كانت لهم العاقبة بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البليغ ثم جاءهم النصر في الدنيا كما لهم النصر في الآخرة[2] .

سادساً: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3] ، **قال القرطبي:** هذه تسلية للنبي ﷺ بأن من تقدمه من الأنبياء قد كفر بهم[4].

سابعاً: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾[5].

قال القرطبي: "هذه تسلية للنبي ﷺ أي: كما كذبك قومك وقالوا: ساحر أو مجنون كُذب من قبلهم مثل قولهم"[1].

---

(١) الأنعام: ٣٤.

(٢) ينظر و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:٤١٧/٦، وابن كثير: ٢٥٢/٣، والألوسي: ٢٩٨/٥.

(٣) النحل: ٦٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٢١/١١.

(٥) الذاريات: ٥٢.

ففي هذه الآيات تسلية للرسول ﷺ وتسهيل للصبر عليه فإذا علم أن الأنبياء –عليهم السلام– استقبلهم مثلما استقبله وأنهم صبروا وأن الله كفاهم فهو يسلك سبيلهم ويقتدي بهم وكما كفاهم علم أنه أيضاً يكفيه.

قلت: وفيما ذكر تسلية لكل من سلك طريق الحق في الدعوة إلى هذا الدين العظيم لما ينزل بهم من التكذيب والاستهزاء والتشكيك وغيره من الأذى الذي عاناه الأنبياء تجاه أقوامهم عموماً وذوي الارحام خصوصاً كما حصل مع النبي ﷺ إذ أشد الناس عداوة لدعوته هم من كفر من أقاربه وعشيرته، وهذا وقعه على الداعية أشد؛ لأنه في الوقت الذي يكون فيه بأمس الحاجة إلى من ينصره من أقاربه، يظهر من يكذبه ويتهمه بالسحر والكهانة والجنون وغيرها، ولما اشتد الأمر على نبي الله لوط –عليه الصلاة والسلام– بسبب الأذى من قومه قال: ﴿ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴾[٢] . **قال الشيخ السعدي**[٣]: " كقبيلة مانعة، لمنعتكم. وهذا بحسب

---

(١) الجامع لأحكام القرآن القرطبي: ١٧/٥٤.

(٢) هود: ٨٠ .

(٣) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدي التميمي: مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد. مولده ووفاته في عنيزة (بالقصيم) (ت:١٣٧٦هـ). الأعلام للزركلي: ٣/ ٣٤٠.

الأسباب المحسوسة، وإلا فإنه يأوي إلى أقوى الأركان وهو الله[1]، الذي لا يقوم لقوته أحد"[2].

المطلب الثاني: ذكر قصص الابتلاء والامتحان .

إن للقصص الواردة في القرآن الكريم أهمية كبيرة في تثبيت قلب النبي ﷺ ومن معه ومن بعده إلى يوم الدين.

لأن أخبار السابقين فيها عظة وعبرة لمن جاء بعدهم قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[3] .

قال الشيخ السعدي:" ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ ﴾ أي: قصص الأنبياء والرسل مع قومهم، ﴿ عِبْرَةٌ لأولِي الألْبَابِ ﴾ أي: يعتبرون بها، أهل الخير وأهل الشر"[4].

---

(١) قال رسول الله ﷺ : « **يرحم الله لوطا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد**»، أخرجه البخاري: ١٤٧/٤ رقم ٣٣٧٢، ومسلم: ١٣٣/١ رقم ١٥١.

(٢) تفسير السعدي: ص ٣٨٦.

(٣) يوسف: ١١١.

(٤) ينظر تفسير السعدي: ص٤٠٧.

أولاً: التسلية بقصة موسى مع فرعون .

لقد عالج موسى –عليه السلام– قومه بكل ما أمكن من الوسائل، حتى إنه –عليه السلام– أصابه بلاء شديد من جراء انحرافهم واتباعهم الهوى والتحايل على أوامر الله تعالى، وعلى رأسهم فرعون –عليه لعنة الله– الذي ادعى الألوهية، فصبر عليهم –عليه السلام– فكان عاقبة صبر موسى –عليه السلام– أن أهلك الله عدوه، قال الله تعالى في حق فرعون: ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰ ﴾[1] ، "أي: كان من تكذيبه وعصيانه وكيده سبباً لأن أخذه الله تعالى، وهذا هو المقصود من سَوق القصة وهو مناط موعظة المشركين وإنذارهم مع تسلية النبي ﷺ وتثبيته"[2].

وقال القرطبي: وهذا تسلية للنبي ﷺ. أي: إن فرعون كان أقوى من كفار عصرك، ثم أخذناه، وكذلك هؤلاء[3].

قلت: وعلى كل داعية ناصح أمين صادق في دعوته أن يعلم يقيناً أن الله ناصره ومؤيده على عدوه طال الزمن أم قصر؛ لأن الله حكم عدل سبحانه وتعالى لا يرضى بالظلم والعدوان ولا بالشرك والكفران، فعلى الدعاة[4] أن يسلكوا سبيل الرسل في طريق الاصلاح والالتزام بآدابهم؛ لأن

---

(1) النازعات:٢٥.

(2) ينظر التحرير والتنوير: ٨١/٣٠ .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٠١/١٩.

(4) وهذا يشمل كل من انبرى للنصح، والتوجيه، والإرشاد من خطباء، ومعلمين، ومدرسين على كل المستويات ذكوراً كانوا أم إناثاً.

الذي اختارهم لهذه المهمة العظيمة هو الله تعالى العليم بأحوالهم وما يمتلكون من حسن الخلق والجلد والصبر على آلام الدعوة ومشاقها، وأما ما نسمعه اليوم من بعض من ينتسب إلى الدعوة إلى الله من أن المجتمع لا ينصلح وأنه طاغ عاص، ومنهم من يذهب إلى أشد من ذلك فيقول: مجتمع كافر والعياذ بالله، فهذا يدل على عجزه وضعفه وعدم قدرته على حمل هذه الأمانة العظيمة فعلل ذلك الضعف بفساد المجتمع وما علم حديث رسول الله ﷺ: «**المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم**»[1]، فالدعاة واجبهم الإرشاد والبيان بحسن أدب وحرص على هداية المدعوين، وأما التوفيق والالهام فمرده إلى الله الذي يملك قلوب العباد ويصّرفها كيف شاء سبحانه.

ثانياً: التسلية بقصة موسى مع بني إسرائيل.

من فوائد هذه القصة كما قال العلماء هي تسلية النبي ﷺ عما شاهده من مشركي العرب واليهود والنصارى من الخلاف، فكأنه تعالى أمره بالصبر على ذلك كما صبر موسى عليه السلام في هذه الواقعة، فبعد أن خلصهم الله– تعالى– من فرعون وأراهم المعجزات العجيبة من أول ظهور موسى إلى ذلك الوقت اغتروا بتلك الشبه الركيكة ، وأن سيدنا موسى – عليه السلام– صبر على ذلك، فلأن يصبر سيدنا محمد على أذية قومه

---

(1) أخرجه أبو داود: ٦٦٢/٤ رقم ٢٥٠٧، وابن ماجه: ١٣٣٨/٢ رقم ٤٠٣٢. وصححه الألباني في صحيحي أبي داود وابن ماجه بالأرقام نفسها.

أولى[1]. وذلك من عوامل تثبيت النبي ﷺ، ولما قسم غنائم حنين آثر النبي ﷺ ناساً، فقال رجل: ما أريد بهذه القسمة وجه الله، فقلت: لأخبرن النبي ﷺ، قال: « **رحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»[2].

ثالثاً: التسلية بقصة يوسف -عليه السلام-

إن سورة يوسف إحدى السور المكية التي تناولت قصص الأنبياء، وقد أفردت الحديث عن قصة نبي الله يوسف بن يعقوب -عليه السلام- وما لاقاه من أنواع البلاء ومن ضروب المحن والشدائد من إخوانه ومن الآخرين في بيت عزيز مصر وفي السجن حتى نجاه الله من ذلك الضِيق، والمقصود بها تسلية النبي ﷺ بما مرّ عليه من الكرب والشدة إنها نزلت تسلية للنبي ﷺ إذ إن النبي ﷺ مرّ به من المحن كما مرّ بيوسف -عليه السلام-، فقد عاداه إخوته وتسبب ذلك بإخراجه من بلده، وبعده عن أبيه، وبيع بثمن بخس، ثم تعرض لفتنة تشويه العرض بمراودة امرأة العزيز له، ثم أودع السجن ظلماً وعدواناً، ولا يكاد من هذه المواقف شيء إلا وقد مرّ بالنبي ﷺ وأصحابه مثله أو أشد[3] .

وقال الطاهر بن عاشور في سورة يوسف:" تسلية النبي ﷺ بما لقيهُ يعقوب ويوسف عليهما السّلام من آلهم من الأذى . وقد لقي النبي ﷺ من آله أشدّ ما لقيه من بعداء كفار قومه"[4] .

---

(1) تفسير الرازي: ١٠٣/٢، ينظر اللباب في شرح الكتاب: ٧٣/٢.

(2) أخرجه البخاري: ١٥٩/٥ رقم ٤٣٣٦.

(3) ينظر تفسير الثعالبي: ٢٢٤/٢، وتفسير روح البيان: ١٣٤/٤.

(4) التحرير والتنوير: ١٩٩/١٢.

مواطن تأثر النبي ﷺ بقصة يوسف – عليه السلام –

١. قال النبي ﷺ واصفاً يوسف –عليه السلام– بما فيه من خصال الاقتداء : « **إن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله** »[١].

٢. وذكر النبي ﷺ ما ينبغي فعله أما الفتنة « **ولو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعي**»[٢]. وهذا هو المنهج النبوي تجاه الفتن والبعد عنها.

قلت: إن كان من عُلِمَ عنه العفة والنزاهة، والصدق والأمانة، وهم أنبياء الله ورسله –عليهم الصلاة والسلام– الذين هم أشرف الناس خلقاً، وأسماهم أدباً، وأنقاهم سريرةً تعرضوا لما تعرضوا له من محاولة تشويه تلك الصفات النقية من صدق وأمانة وعفة وديانة فإن من دونهم أولى؛ فعلى كلِ من حمل لواء الدعوة والتوجيه أن يحذر من مكر أعدائه وخبثهم، فلا يجعل نفسه في مواطن الشبهات من التزلف للظلمة والطغاة والمفسدين، والحذر الحذر من كيد النساء فهذا يوسف –عليه الصلاة والسلام– أراد المغرضون تشويه سمعته وخلقه.

---

(١) أخرجه البخاري: ٤/١٨٤.

(٢) أخرجه البخاري: ٤/١٤٧ رقم ٣٣٧٢، ومسلم: ١/١٣٣ رقم ١٥١.

رابعاً: التسلية بقصة أصحاب الفيل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾[1].

يقول الحافظ ابن كثير: "هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش، فيما صَرَفَ عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله، وأرغم آنافهم، وخيّب سعيهم، وأضل عملهم، وردهم بشر خيبة. وكانوا قوماً نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان. ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم – يا معشر قريش– على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد، – صلوات الله وسلامه عليه– خاتم الأنبياء"[2].

قال حقي[3] في تفسيره: الخطاب لرسول الله ﷺ ومن المعلوم أن بين حادثة الفيل وولادته خمساً وخمسين ليلة، وأن بين حادثة الفيل وهجرته ﷺ

---

(1) الفيل:١.

(2) تفسير ابن كثير: ٨/ ٤٨٣.

(٣) إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ). الأعلام للزركلي: ١/ ٣١٣.

ثلاثاً وخمسين سنة فالغرض من ذكر هذه القصة هو تسلية النبي ﷺ بأنه سيجزى من يظلمه كما جزى من قصد الكعبة[1].

قلت: إن صيانة البيت من تدنيس النصارى، ورد الله كيدهم مخزيين في الدنيا والآخرة، هو الطريق الى بزوغ فجر النبوة، وصيانة النبوة والمحافظة على حاملها وتأييده ونصرته هو أعظم شئناً؛ لأن النبوة فيها حياة البشرية، وسعادتهم المرجوة في الدنيا والآخرة، فهذا كله من التسلية للنبي ﷺ وبيان عظيم غيرة الله تعالى على محارمه ومنها حقوق نبيه ﷺ، ولذا قال تعالى على لسان رسوله: « **من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب**»[2]. وليس هناك من هو أعظم من رسول الله ﷺ ولايةً.

خامساً: التسلية بقصة أصحاب الأخدود .

يقول الرازي[3]: "اعلم أن المقصود من هذه تسلية النبي ﷺ وأصحابه عن إيذاء الكفار وكيفية تلك التسلية هي أنه تعالى بيّنَ ـ في سورة البروج ـ أن سائر الأمم السالفة كانوا كذلك مثل أصحاب الأخدود ومثل وفرعون

---

(1) ينظر روح البيان: ١٠/ ٥١٠.

(٢) أخرجه البخاري: ١٠٥/٨ رقم ٦٥٠٢.

(٣) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ: الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. (ت: ٦٠٦هـ) . ينظر وفيات الاعيان : ٢٤٧/٤. والزركلي في الأعلام :٣١٣/٦.

ومثل وثمود، وختم ذلك بأن بيّن أن كل الكفار كانوا في التكذيب، ثم عقب هذا الوجه بوجه آخر وهو قوله: ((والله من ورائهم محيط))"[1][2].

ومما جاءت به السنة الصحيحة هو أن النبي ﷺ قصَّ على أصحابه هذه القصة بتفصيلاتها للعظة والاعتبار، ولقد أشار الإمام القرطبي إلى سبب إيراد تلك القصة على لسان النبي ﷺ إذ جاء في تفسيره ما نصه: " **قال علماؤنا:** أَعلمَ الله –عز وجل– المؤمنين من هذه الأمة في هذه الآية، ما كان يلقاه من وحَّد قبلهم من الشدائد، يؤنسهم بذلك. وذكر لهم النبي ﷺ قصة الغلام ليصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام، والمشقات التي كانوا عليها، ليتأسوا بمثل هذا الغلام، في صبره وتصلبه في الحق وتمسكه به، وبذله نفسه في حق إظهار دعوته، ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وعظم صبره. وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار. وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الإيمان في قلوبهم، صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا في دينهم"[3].

قلت: إن هذه القصص فيها عبرة لكل الدعاة إلى الله إلى قيام الساعة، وللدكتور عبد الكريم زيدان كلام نفيس علّق به على هذه القصة قالاً: " وهذا يعني أن الإيمان والمؤمنين يلقون دائماً العنت والأذى من الكفرة ولا سيَّما من الحكّام الكفرة، وفي الغالب أن هؤلاء الكفرة لا يكتفون بمضايقة المؤمنين وكرههم، بل يتجاوزون ذلك إلى تعذيب المؤمنين إلى حدّ قتلهم

---

(١) تفسير الرازي: ١٠٤/٣.

(٢) سورة البروج:٢٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٩٣/١٩.

والاستمتاع بمشاهدة قتلهم. وحوادث التأريخ تؤكد هذه الحقيقة التي هي من السنن الإلهية الثابتة. وإذا كان الأمر ما ذكرناه وهو تعرض المؤمنين لأذى الكفار، فإن الدعاة إلى الله لهم النصيب الأكبر من أذى الكفار؛ لأنهم لا يقفون عند حدّ إيمانهم الشخصي وإنما يسعون إلى نشر هذا الإيمان ودعوة الناس إليه، وهذا مما يغيض الكفار ويزيد من بغيهم وإيذائهم للدعاة. وعلى هذا فليس أمام الدعاة إلا الصبر، والتأسي بمن سبقهم من المؤمنين في تحمل الشدائد والعذاب في سبيل ثباتهم على إيمانهم"[1].

(1) المستفاد من قصص القرآن: ٥٨٣/١.

المبحث الثاني

وسائل القرآن في التسلية

أولاً: التسلية بالصبر.

إن المتتبع لآيات القران الكريم يجد أن القران قد رسم للداعية منهجاً عملياً في سبيل إيصال الدعوة وأن من بينها الصبر على ما يلاقيه وعدم الضجر.

وأن النبي ﷺ –وهو سيد الدعاة ـ أُمر بالصبر في كثير من آيات التسلية إما بطريق التلميح المستفاد من معنى الآية وإما بطريق التصريح بالصبر على ما يلاقيه؛ لأن الصبر له مرارة في أثناء وقوع البلاء ونزول المحن والشدائد بالمؤمن، ولكن عاقبته حميدة في الدنيا والآخرة.

ومن الآيات التي نصت على الصبر

١. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ ﴾[1].

يقول الشيخ السعدي: ثم أمر رسوله بالصبر على دعوة الخلق إلى الله والاستعانة بالله على ذلك، وعدم الاتكال على النفس فقال: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ ﴾ هو الذي يعينك عليه ويثبتك. ﴿ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ إذا

---

(1) سورة النحل: ١٢٧.

دعوتهم فلم تر منهم قبولاً لدعوتك، فإن الحزن لا يجدي عليك شيئاً. ﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ ﴾ أي: شدة وحرج ﴿ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ فإن مكرهم عائد إليهم وأنت من المتقين المحسنين[1].

ويقول الألوسي: "في هذا تسلية النبي ﷺ وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه وقوله ((إلا)) أي: الا المبنية على حكم بالغة مستتبعة لعواقب حميدة. وقال قوم إلا بتوفيقه ومعونته فالتسلية من حيث تيسير الصبر وتسهيله"[2].

٢. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴾[3] .

قال الصابوني: "هذا في تسلية النبي ﷺ أي: اصبر يا محمد وانتظر لحكم ربك وقضائه فلا بد أن ينتقم منهم ويقر عينك بإهلاكهم إن عاجلاً أو آجلاً ولا تطع من هؤلاء الفجرة من كان آثماً أو كفوراً"[4].

٣. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٧٧ ﴾[5].

---

(١) تفسير السعدي: ص ٤٥٢.

(٢) تفسير الألوسي: ٣٤٦/١٠.

(٣) الإنسان: ٢٤.

(٤) صفوة التفاسير: ٤٤٢/٣.

(٥) غافر: ٧٧.

قال القرطبي: هذا تسلية للنبي ﷺ أي: إنا لننتقم لك منهم إما في حياتك أو في الآخرة[1] .

٤. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾[2]

قال ابن عاشور: "هذا إيغال في تسلية النبي ﷺ وتعريض بوعيدهم فالخبر مستعمل مجازاً في وعد الرسول ﷺ بأن الله سيعاقب أعداءه"[3].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٥/٣٧٠.

(2) ق: ٣٩.

(3) التحرير والتنوير: ٢٦/٣٣٣.

ثانياً: التسلية بعدم الحزن.

إن العلاقة بين الله تعالى والنبي ﷺ هي الخلة كما ثبت في الحديث[1] وهي أعلى من المحبة، والله تعالى لا يرضى أن يكون خليله حزيناً منكسر النفس لذلك نجدهُ تعالى بين الحين والآخر يصرح بقوله: ((لا تحزن)) أي: لا تكن مهموماً على هؤلاء . ومن هذه الآيات.

أولاً: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ ﴾[2] .

قال الإمام الطبري[3]: وهذا تسلية من الله- تعالى ذكره – نبيَّه محمدًا ﷺ من حزنه على مسارعة الذين قصَّ قصتهم من اليهود والمنافقين في هذه الآية. يقول له تعالى ذكره: لا يحزنك تسرُّعهم إلى جحود نبوَّتك، فإني قد حَتَمْتُ عليهم أنهم لا يتوبون من ضلالتهم، ولا يرجعون عن كفرهم، للسابق من غضبي عليهم. وغير نافعهم حزنك على ما ترى من تسرُّعهم إلى ما جعلته

---

(١) قال ﷺ: « **لو كنت متخذا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر**» أخرجه البخاري: ٤/٥ رقم ٣٦٥٤، ومسلم: ١٨٥٤/٤ رقم ٢٣٨٢.

(٢) جزء من آية المائدة: ٤١.

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري ، شيخ المفسِّرين وأحد الأئمة ، كان حافظاً لكتاب الله بصيراً بمعانيه فقيهاً بأحكامه ، عالماً ، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم ، (ت ٣١٠هـ) ، ينظر : تاريخ بغداد، ١٦٢/٢ ، وتذكرة الحفاظ ، ٢٠١/٢ .

سببًا لهلاكهم واستحقاقِهم وعيدي[1]. وهذه الآية تسلية للنبي ﷺ وتقوية لنفسه بسبب ما كان يلقى من طوائف المنافقين وبني إسرائيل والمعنى : وعدناك بالنصر والظهور عليهم فلا يحزنك ما يقع منهم[2].

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦ ﴾[3]

يقول سيد طنطاوي: هذه الآية للنبي ﷺ والمقصود منه تسلية وإدخال الطمأنينة على قلبه حتى لا يتأثر من كفر الكافرين ونفاق المنافقين وفسق الفاسقين لأن النبي ﷺ بمقتضى طبيعته البشرية وغيرته على دين الله يحزن لإعراض المعرضين عن الحق الذي جاء به، ولقد حكى القران ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى:﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾[4] أراد الله تعالى في هذه الآيات وأمثالها أن يزيل من نفس رسول الله ﷺ هذا الحزن الذي نتج من كفر الكافرين وإن يطمئنه إلى إن العاقبة ستكون له ولأتباعه المؤمنين الصادقين[5].

---

(١) تفسير الطبري: ٣١٦/١٠- ٣١٧.

(٢) ينظر المحرر الوجيز: ٢٢١/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٨١/٦، وتفسير ابن كثير: ١٦٥/٣.

(٣) آل عمران:١٧٦.

(٤) جزء من آية فاطر:٨.

(٥) الوسيط لسيد طنطاوي: ٨٠٦/١ ـ ٨٠٧.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[1].

يقول القرطبي: هذه تسلية للنبي ﷺ ونهي عن التعرض للحزن[2].

ثالثاً: وقوله تعالى: ﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٣٣ ﴾[3].

قال ابن كثير:" يقول تعالى مسلياً لنبيه ﷺ في تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه ﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ ﴾ أي: قد احطنا علماً بتكذيب قومك لك، وحزنك وتأسفك عليهم"[4]، **وقال الألوسي:**" هذا استئناف مسوق لتسلية رسول الله ﷺ عن الحزن الذي يعتريه– عليه الصلاة والسلام – مما حكى عن الكفرة من الإصرار على التكذيب والمبالغة"[5].

رابعاً: قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[6].

---

(1) جزء من آية المائدة: ٦٨.

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:٦/٢٤٥.

(3) سورة الأنعام: ٣٣.

(4) تفسير ابن كثير: ٣/٣٦٩، وينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٦:/٤١٦.

(5) تفسير الألوسي: ٥/٢٩٥.

(6) الكهف: ٦.

يقول الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ لا تهلك نفسك أسفاً وحزناً عليهم بسبب كفرهم فإنا بعثناك منذراً ومبشراً فأما تحصيل الإيمان في قلوبهم فلا قدرة لك عليه، **وقال الرازي:** إن الغرض من هذه الآية تسلية النبي محمد ﷺ[1].

(1) مفاتيح الغيب: ١٥٧/١٠، وينظر تفسير ابن كثير: ١٠٧/٤، وتفسير الألوسي: ٢٢٧/١١.

الخاتمة

بعد أيام مضت من البحث في أثناء الكتاب العزيز، وكتب التفسير فيما يتعلق بتسلية القرآن العظيم للنبي الكريم ﷺ فيما نزل به من المحن الشداد والابتلاءات العظام التي تنوء بحملها الجبال، وذلك لعظم الأمانة ألا وهو الدين العظيم الذي شرعه الله للبشرية جمعاء، ورسم لهم طريق النجاة في الدنيا والآخرة ، وها نحن ذا نقف مع خاتمة هذا البحث ونتائجه التي يحسن ذكرها بإيجاز على النحو الآتي:-

١. التسلية منَّة من الله – تعالى – لنبيه خاصة، ولأتباعه عامة؛ بل لكل من سار على درب الهدى والرشاد من مبعث آدم حتى قيام الساعة.
٢. للتسلية ألفاظ تشترك معها في أداء معناها وهي: المؤاساة أو المواساة وهي التأسي بمن مرّ عليه مثل ما أصابك، والتعزية: الأمر بالصبر والحمل عليه، والتصبير: هو حمل النفس على الصبر بوعد الأجر.
٣. إن مما حكاه القرآن العظيم من أخبار من سبق من الأمم وإعراضهم عن دعوة أنبيائهم، وصدهم عنها، ومحاربتهم إياها ، لهو من عوامل تسلية النبي فيما لاقاه من قومه خاصة ومن القبائل عامة، وكلما اشتد البلاء عظمت مكانة العبد عند الله فرسولنا هو

أشرف الناس قدراً وأعلاهم منزلة .

٤. على الداعية أن يتسلح بالإيمان ويلبس ثياب الصبر وتحمل الأذى في سبيل الله ويحتسب عند الله تعالى ما يلقاه من أذى الناس ، وليكن شعاره ما قاله نبينا: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

هذا وما كان من توفيق فمن الله إذ هو الذي يسر وسدد وأنعم سبحانه، وما كان من خطأ أو تقصير فمن نفسينا والشيطان، ونسال الله صلاح النية وحسن القصد إنه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

كما ونوصي إخواننا من الباحثين الاعتناء بدقائق ما ورد في القرآن العظيم من وقائع وأحداث وقصص واستخراج الدروس والعبر لهذه الامة لتكون على ارتباط مع القرآن الكريم في العلم والعمل.

ثبت المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. أسنى المطالب في شرح روض الطالب، لزكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبي يحيى السنيكي (ت:٩٢٦هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (ت :١٣٩٣هـ)، الناشر : دار الفكر للطباعة، بيروت – لبنان، سنة : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ.
٤. الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت:١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م.
٥. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت:٤٦٣هـ)، تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ.
٦. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
٧. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، سنة١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.
٨. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر ، – القاهرة، ط١.

٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، سنة ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
١٠. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير أبي جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، سنة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١١. الجامع لأحكام القرآن = الجامع لإحكام القرآن للقرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت : ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢ ، سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
١٢. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١ - ١٤١٨ هـ.
١٣. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت: ١٢٣٠هـ)، الناشر: دار الفكر.
١٤. رد المحتار على الدر المختار، لابن عابدين، محمد أمين بن عمر

بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت:١٢٥٢هـ)، الناشر: دار الفكر- بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٥. روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبي الفداء (ت : ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.
١٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت:١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.
١٧. سنن ابن ماجه، لابن ماجة أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.
١٨. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت:٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
١٩. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة

(مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٠. صحيح سنن ابن ماجه، لمحمد ناصر الدين الألباني، النشر مكتبة المعارف الرياض، ط١، سنة ١٤١٧هـ.

٢١. صحيح سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، النشر مكتبة المعارف الرياض، ط١، سنة ١٤١٩هـ.

٢٢. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٣. صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٢٤. طبقات المفسرين ، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ،تحقيق: علي محمد عمر ،الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة ط١، ١٣٩٦.

٢٥. طبقات المفسِّرين، لمحمد بن علي الداودي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ ، ١٤٢٢هـ.

٢٦. اللباب في شرح الكتاب، لعبد الغني بن طالب بن حمادة بن إبراهيم الغنيمي الدمشقي الميداني الحنفي (ت: ١٢٩٨هـ)، حققه، وفصله،

وضبطه، وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت – لبنان.

٢٧. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت:٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

٢٨. المستفاد من قصص القرآن، لعبد الكريم زيدان، الناشر مؤسسة الرسالة، بيوت ، ط١، سنة ١٤٢٦هـ.

٢٩. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

٣٠. المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

٣١. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيقه: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، سنة: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٢. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت:٩٧٧هـ)، الناشر:

دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
٣٣. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣ – ١٤٢٠ هـ.
٣٤. وتذكرة الحفاظ ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ.
٣٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ) ، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت.